

مدارس ابن سیرع

كتاب التوحيد

لشيخنا الفاضل الوقور

الشيخ زيق بن حامد القرشي

حفظه الله تعالى



المدارسة الرابعة لشرح كتاب التوحيد
شرح شيخنا الوقور رزيق بن حامد القرشي
- حفظه الله تعالى -

السؤال الأول : لماذا الإمام محمد بن عبد الوهاب عقد هذا الباب بابُ الخَوْفِ من الشُّركِ ؟
الجواب : عقد الإمام محمد بن عبد الوهاب هذا الباب وهو بابُ الخَوْفِ من الشُّركِ بعد أن
بيَّن فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب ، ثم جاء في هذا الباب لبيِّن عِظَم أمر الإِشراكِ بالله -
عز وجل ؛ ولأن الخوف من الشرك أمرٌ يقود إلى معرفة التوحيد ، فكل من خاف من الشرك
دليلٌ على أنه يعلم عِظَم الشرك والوقوع فيه .

السؤال الثاني : استدل الإمام - رحمه الله - على بابُ الخَوْفِ من الشُّركِ بقول الله - عز وجل -
﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى
إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ أذكر معنى هذه الآية الكريمة .

الجواب : معنى قول الله - عز وجل - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ﴾ : أي لا يغفر لعبدٍ
لقيه يعبد معه غيره ، أو يصرف له شيئاً من أنواع العبادة ؛ أي يصرف لغير الله شيئاً من أنواع
العبادة.

﴿ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ ﴾ : يغفر جميع الذنوب غير الشرك الأكبر ، ويدخل الشرك الأصغر في
ما دون ذلك ، أمّا الشرك الأكبر فلا يغفره الله - عز وجل - .

قال : ﴿ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ : لمن يريد المغفرة له ، فقد يغفر له وقد يعذبه ويطهره ثم يدخل الجنة
، وهذا لمن كان دون الشرك الأكبر ، فقد يغفر له الله - عز وجل - وقد يعذبه ويطهره ثم
يدخله الجنة .

﴿ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ ﴾ : أي ومن يعبد معه غيره ؛ والمعبودات مع الله - عز وجل - كثير .

ومعنى قوله : ﴿ افْتَرَى ﴾ : أي كَذَبَ .

ومعنى قوله : ﴿ إِنَّمَا ﴾ : أي ذنبًا عظيمًا كبيرًا ؛ وهذا افتراء ، فقد افترى على الله إثمًا عظيمًا - نسأل الله العافية والسلامة - .

السؤال الثالث : لماذا الشرك هو أخطر الذنوب وأقبحها وأشدّها عقوبة ؟
الجواب : الشرك هو أخطر الذنوب وأقبحها وأشدّها عقوبة لِمَا فيه من تنقيص للربّ - عز وجل - وتشبيهه بمخلوقاته أخبر الله في هذه الآية أنه لن يغفر لصاحب شركٍ مات على شركه ، وأمّا من مات على التوحيد وعنده بعض الذنوب فإنّ الله وَعَدَ بالمغفرة له وَفَقَّ مشيئته ، ثم علل عدم المغفرة للمشركين بأنهم بعملهم هذا قد كذّبوا على الله بعبادتهم معه غيره ، وارتكبوا ذنبًا كبيرًا لا يساويه ذنب .

السؤال الرابع : تحقيق التوحيد هو الطريق الصحيح للخلاص من الشرك فما هو الشرك الأكبر ؟

الجواب : الشرك الأكبر من أخطر المعاصي التي يُعَصَى بها الله - عز وجل - ، فلا بد للعبد أن يبتعد كل البعد سواءً كان هذا الشرك الأكبر اعتقادي أو قولي أو عملي ، فيبتعد كل البعد ، ويحقق التوحيد ، فإن تحقيق التوحيد هو الطريق الصحيح للخلاص من الشرك

السؤال الخامس : قال الله - عز وجل - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ في هذه الآية الكريمة فوائد عظيمة أذكرها .

الجواب : قال الله - عز وجل - : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴾ في هذه الآية الكريمة فوائد عظيمة وهي :
1- من مات على الشرك الأكبر وجبت له النار دون الشرك الأصغر ؛ لأنه لا يدخل في التخليد في النار بل تحت المشيئة .

2- من مات على التوحيد وعنده كبائر فمغفرة ذنوبه تحت مشيئة الله - سبحانه وتعالى - .

3- في الآية رُدُّ على الخوارج الذين يُكفِّرون بالذنوب ، وعلى المعتزلة الذين يرون تخليد صاحب الكبائر في النار .

4- من الفوائد إثبات صفة من صفات الله ؛ ألا وهي صفة المشيئة لله - عز وجل - .

السؤال السادس : ما معنى كلا من :

﴿ وَاجْتَنِبِي وَيَئِيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾

﴿ هَذَا الْبَلَدَ ﴾

﴿ آمِنًا ﴾

﴿ اجْتَنِبِي ﴾

﴿ الْأَصْنَامَ ﴾

الجواب : ﴿ وَاجْتَنِبِي وَيَئِيَّ أَنْ تَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾ : هذا فيه دليل على الخوف من الشرك ، ولذلك إبراهيم دعا الله - عز وجل - له ولابنه ألا يعبدوا الأصنام .

﴿ هَذَا الْبَلَدَ ﴾ : هو مكة المكرمة .

﴿ آمِنًا ﴾ : مطمئن أهلَه ، أو أهلَه .

﴿ اجْتَنِبِي ﴾ : باعدي يسأل الله - عز وجل - أن يُبعده عن الشرك وأن يُبعد أبنائه عن الشرك ، هم أبنائه من صلبه وبناته ، ولم يذكر البنات لدخولهن تبعًا ، وقيل غير ذلك .

﴿ الْأَصْنَامَ ﴾ : جمع صنم وهو ما نُحِت على صورةٍ وعُبد ، والوثن أعم من ذلك .

السؤال السابع : لماذا إبراهيم - عليه السلام - دعا لمكة بالأمن والاستقرار؟

الجواب : أخبر الله - سبحانه وتعالى - أن إبراهيم - عليه السلام - دعا لمكة بالأمن والاستقرار ، وذلك لأن الخوف والفوضى يمنعان الناس من أداء مناسكهم .

السؤال الثامن : طلب إبراهيم - عليه السلام - من ربه أن يبعده وأولاده عن عبادة الأصنام ، وذلك لما علم من خطر عبادتها وافتتان الناس بها ، فهذا الذي لابد للمسلم أن يدعو الله -

عز وجل - لنفسه ولأبنائه وللمسلمين ، أن يُجَنَّبُوا هذا الأمر العظيم وهو الشرك وعبادة غير الله - عز وجل - فالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عنده أحاديث كثيرة أوثرت عنه فما الدليل ؟

الجواب : طلب إبراهيم - عليه السلام - من ربه أن يبعده وأولاده عن عبادة الأصنام ، وذلك لما علم من خطر عبادتها وافتتان الناس بها ، فهذا الذي لا بد للمسلم أن يدعو الله - عز وجل - لنفسه ولأبنائه وللمسلمين ، أن يُجَنَّبُوا هذا الأمر العظيم وهو الشرك وعبادة غير الله - عز وجل - فالنبي - صلى الله عليه وآله وسلم - عنده أحاديث كثيرة أوثرت عنه والدليل قوله صلى الله عليه وسلم : (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَأَنَا أَعْلَمُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ) .

السؤال التاسع : تقديم إبراهيم في دعائه مكة بالدعاء لها بالأمن والاستقرار قبل أن يدعو أن يُجَنَّبَ هو وأبناؤه عبادة الأصنام لماذا ؟

الجواب : تقديم إبراهيم في دعائه لمكة قبل أن يدعو أن يُجَنَّبَ هو وأبناؤه عبادة الأصنام ، هذا يدل على أن الأمن مطلبٌ لكل أحد ، ليس لأهل التوحيد والإيمان ، بل حتى الكفار ، بل حتى البهائم تسأل أمنًا ويريدون أن يأمنوا ، ولذلك إبراهيم دعا لهذا البلد بالأمن في قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ ﴾

السؤال العاشر : قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : (أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ ، فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ : الرِّيَاءُ) فما هو الرياء ؟

الجواب : قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : (أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكَ الْأَصْغَرَ ، فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ : الرِّيَاءُ) الرياء هو الشرك الأصغر وهو مُراءاة الغير بعمل الخير كالذي يُحَسِّنُ صلاته من أجل الناس ، لأنه قد يسلم الإنسان من الشرك الأكبر إذا وُفِّقَ ، ولكن قد يقع في الشرك الأصغر وهو الرياء ؛ يرائي بأفعاله الناس لأن يمدحوه أو يذكروه أو يشار إليه بالبنان أو يقال أنه عابد ، أو يقال أنه زاهد أو يقال أنه عالم ؛ كل هذا كان يخافه النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - ، وهذا الشرك الأصغر دقيق دقيق جدًا ؛ ولذلك جاء في وصفه عن النبي - صلى

الله عليه وسلم - لما سئل عنه قال : (كَالنَّمْلَةِ السَّوْدَاءِ عَلَى الصَّخْرَةِ الصَّمَاءِ فِي اللَّيْلَةِ
السَّوْدَاءِ) كيف يُرَى؟ ! خفيٌّ جدًّا ؛ فلذلك الإنسان لا بد أن يلهج بهذا الدعاء (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ
بِكَ أَنْ أَشْرِكَ بِكَ شَيْئًا وَأَنَا أَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ) .

السؤال الحادي عشر : قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : (أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ
الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ ، فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ : الرِّيَاءُ) في هذا الحديث فوائد كثيرة جمّة أذكرها
الجواب : قال النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - : (أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ ،
فَسُئِلَ عَنْهُ فَقَالَ : الرِّيَاءُ) في هذا الحديث فوائد كثيرة جمّة :

- منها : حرص الرسول - صلى الله عليه وآله وسلم - على أمته ؛ وهذا خُلُق لا بد أن نتخلّق به
أن نحرض على الأمة ألا يقعوا في الشرك ، ولذلك عندما يكون الإنسان صدره سليم وصدره
مليء بالإيمان ومليء بالتوحيد لله - عز وجل - تجده حريص على الناس ألا يقع أحدٌ في الشرك
أو في الرياء أو في غير ذلك ، فتجده يدعو الناس إمّا بقوله وإمّا بفعله إن لم يستطع بقوله ،
فيكون قدوة للناس وخاصةً طلاب العلم لا بد أن يكون قدوة للناس .

- ومنها أيضًا : تقسيم الشرك إلى أكبر وأصغر .

- ومنها أيضًا : اعتبار الرياء من الشرك ؛ ولكن من الشرك الأصغر .

- ومنها : وجوب سؤال أهل العلم عمّا خفيّ حكمه ؛ لأنهم قالوا : (وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا
رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : الرِّيَاءُ) ، فهذا لا بد أن يسأل ، فيه دليل على السؤال والسائل يتعلم
السائل في الدين يتعلم ، والمُعْرِض عن الأسئلة لأهل العلم والفضل لا يتعلم فيبقى على جهله
، ولذلك لا بد أن تتعب في طلب العلم ، لا بد أن تسأل ، لا بد أن تجلس ، لا بد أن تتعلم ؛ حتى
تعبد الله على علم ، هذا الدين يُعْرَف بالتّلقّي وبالتّعلم ، ليس هو إلهام " حدثني قلبي عن ربي
! " ، لا ؛ هذه دعوة تصوّفٍ ، إنما هذا العلم كما قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : (الْعِلْمُ
بِالتَّعَلُّمِ ، وَالْحِلْمُ بِالتَّحَلُّمِ) (1) ، فمتى وقفت للعلم ولسؤال أهل العلم تعلمت ؛ فتعبد الله
على علم .

¹ (الراوي : أبو الدرداء | المحدث : أبو نعيم | المصدر : حلية الأولياء | الصفحة أو الرقم : 198/5 | خلاصة حكم المحدث : غريب من
حديث الثوري عن عبد الملك تفرد به محمد بن الحسن .

السؤال الثاني عشر : وعن ابن مسعود - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدَاءَ النَّارِ) (2) رواه البخاري ما معنى يدعو ومن هو الند مع ذكر بعض من فوائد الحديث .
الجواب : معنى (يَدْعُو) : المراد بالدعاء هنا : دعاء العبادة ودعاء المسألة ؛ أن يدعو غير الله وأن يسأل غير الله ، فكلا الأمرين ذميم ، فلا تدعو ولا تسأل إلا الله - عز وجل - !

والنِّدَّ هو : الشبيه والنظير ، (مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَدْعُو لِلَّهِ نِدَاءَ النَّارِ) (3) ، و الشبيه ، أن تدعو غير الله تُشَبِّهه بالله - عز وجل - وتعطيه صفات الربِّ - جلَّ وعلا - في جلب المنافع ودفع المضار - نسأل الله العافية والسلامة - .

- ومن فوائد هذا الحديث :

- 1- من مات على الشرك دخل النار ، فإن كان شركاً أكبر خُلِدَ فيها ، وإن كان أصغر عُذِّبَ ما شاء الله له أن يُعَذَّبَ ثم يخرج .
- 2- أن العبرة بالأعمال خواتيمها - فنسأل الله أن يختم لنا ولكم بالحسنى - .

² رواه البخاري .

³ (الراوي : عبدالله بن مسعود | المحدث : البخاري | المصدر : صحيح البخاري .